مناعة الإسلام

بون. ٢٦ شباط/فبراير ١٩٨١

عندما يقارن المسلمون بين المخاطر التي يجلبها العالم الشيوعي وبين تلك التي يفرضها الغرب، يُلاحَظ أن كثيراً منهم هم أكثر خوفاً من التدمير الروحي الغربي، منهم من خطر انسحاقهم المادي من قبل الشيوعية. ولعل هذا كان نتيجة ملاحظاتهم الصحيحة من أنه لم يكن باستطاعة الاتحاد السوفييتي [السابق]، ولا باستطاعة الدبابات الروسية في أفغانستان أن ينجحوا في اقتلاع الإسلام من قلوب الأفغان.

وليس من الإمكان تدمير الإسلام بشكل قاتل بالطريقة ذاتها التي يمكن بها تدمير النصرانية، وذلك باعتقال الأساقفة والرهبان، ومنع نفوذ إدارة القديسين، أو مصادرة كتبهم المقدسة. والحق يقال، إن هناك آلافاً من المسلمين الروس السوفييت من حَفَظَةِ القرآن الكريم. وعلاوةً على ذلك، فبإمكان المسلمين أن يصلوا فرادى، إذا اضطروا لذلك، في أي مكان طاهرٍ، أينما كانوا. ولعل هذا أحد أسرار مقاومة الإسلام خلال فترات طويلة من الزمن نسبياً تحت الحكم الديكتاتوري الاستبدادي. كما أن هذا هو السبب أيضاً في الحقيقة المذهلة لنجاة ملايين المسلمين الصينيين من القبضة الفولاذية لماو تسي تونغ، والثورة الحضارية، بل العجيب في الأمر أيضاً أن المئات من العائلات الإسبانية المسلمة لم تنجُ فقط من بؤس المحررين، بل استطاعت النجاة أيضاً من حكم فرانيسكو فرانكو.

واحسرتاه، إن الإسلام ليست لديه المناعةُ المساوية لمثل هذه المناعة حيال العمل التنصيري الأقل انفتاحاً والأقل تنظيماً: الإضعاف الماكر

لقوته، وليس باستخدام جهدٍ نصراني خاص، ولكن بالأثر الهادئ السريع الانتشار للحضارة التقنية الغربية.

إن للمجتمع الغربي الصناعي أثره السامَّ على كافة الأديان، بما في ذلك دين المجتمع الغربي ذاته، وذلك بالدعوة إلى قيَمٍ وأفكارٍ ومبادئ تعتمد على افتراضات مادية بحتة. إن كلاً من: التفكير بالمنفعة، ومحاولة زيادة الربح إلى الحد الأقصى، والولع بزيادة الإنتاج بشكلٍ مستمر، وأسطورة التقدم اللامحدود، وغرور علماء الطبيعة الذين تحولوا إلى فلاسفة، واللاأدرية المفرطة، وحيادية القيم لدى المثقفين، والدافع الغربي الكامل لعقْلَنَةِ كل مظهر من مظاهر الحياة، كل هذا معادٍ للدين أساساً وضارٌّ به. وإن مجتمع الفنيين الذي يعيش فيه الغرب بعبادات الطوائف الفردية وأخلاقياته التي تتمثل بموقفه في دعهم يفعلون ما يشاؤون، ما هو في الواقع إلا في خطر لتدمير كامل للقواعد الأخلاقية التي بُني عليها هذا المجتمع ذاته ونما وترعرع عليها وهي: القيمُ وأوضاع السلوك التي تأصلت في إيمان آبائنا وأجدادنا بالله تعالى.

وتُعْتَبَرُ تركيا أحد أهم الأمثلة على هذه العملية فيما يتعلق بإبعاد أبناء شعبها عن الإسلام. وقد اعتبر "أتاتورك" ديانة مواطنيه عائقاً للتمدن الحضاري، مدعياً وزاعماً أن الإسلام يتوجَّهُ نحو التخلف. ولا شك أن الإسلام في المدن التركية قد دُفِنَ تحت ما يمكن تسميته بعبادة التقدم، والازدهار، وإيجاد "الحل العلمي" للمشاكل. ويكاد هذا الأمر يكون صحيحاً على الأقل بالنسبة لما يُدْعى "المثقفون" من الطبقات العليا والمتوسطة في المناطق المدنية. وإن هؤلاء يمكن أن يعبدوا "العلم" أكثر مما يعبدوا "خالقهم" سبحانه وتعالى.

ومهما كان الأمر، فإن بعض هؤلاء "المتنورين" من العلمانيين الأتراك يولَعُون بأنهم يدعون ما يلي: "إنني لستُ مسلماً ملتزماً، إلا أنني في قرارة

نفسي أومن بالله. وإن هذا الإيمان الطبيعي الذي أكنُّهُ يفوقُ أداء الصلاة خمس مرات كل يوم." وإن سماع مثل هذه العبارة من "مسلمين" أتراك أصبح أمراً عادياً مألوفاً في تركيا، وخاصة من أولئك الذين لا تتعدى معرفتهم عن ديانة آبائهم أن تكون مقتصرة على المظاهر الفضولية والهامشية التي انتقلتْ إليهم شفوياً عن طريق جدَّاتهم.

ولو أن أتاتورك لم يقللْ أهمية التعليم الديني ويجعلها أعمالاً سريةً محظورة، لكان من المحتمل أن المثقفين الأتراك يُحتمل أن يدركوا أنه حتى "الصوفيون" يعتقدون أن الدِّين هو أمر قلبيٌّ فقط. إن هؤلاء "المتمدنين" المسلمين الذي لا يتبعون إلا أهواءهم ربما يدركون أن الإسلام، وهو الاستسلام المطلق للإرادة الإلهية، يتضمن أيضاً الانصياع لهديه، وأوامره، ونواهيه، وشريعته.

وبناء على هذه الخلفية، فمن السخرية أن نرى "وكالة الشؤون الدينية" اليوم تحاول بشكل محموم كبْحَ الآثار السلبية لإهمال الإسلام لفترة طويلة، والذي كان، بشكلٍ واضحٍ، مؤذياً وضاراً لمطلب الأمة في البحث عن الهوية في العصر الحديث. كما أن الأئمة والمدرسين الذين تدربهم الدولة وتدفع رواتبهم، يتم إرسالهم اليوم إلى بلدان مثل ألمانيا وهم يحملون واجباً صعباً طال تأجيله وتأخيره في محاولة للسيطرة على الشبكة الواسعة غير الرسمية للمدارس القرآنية، والمساجد، والجماعات الصوفية التي ظهرت بين العمال الأتراك كردٍّ فعلٍ على سياسة أتاتورك العلمانية.

obeikandi.com

القانون الدولي للمسلمين

بون. ١٢ آذار/مارس ١٩٨١

يتضمن مصطلح "القانون الدولي" اعترافاً على مستوى العالم، إلا أن "قانون الأمم" اعتبر سارياً طالما أنه كان معتبراً ومحترماً ومطبقاً على مستوى "الأمة" أو الشعب ذاته. وكان يجب علينا أن نتعلم ثانية في الآونة الأخيرة أنه يمكن أن يكون هناك قانون دولي خاص لمناطق معينة حتى ولو كان مخالفاً للتطبيق الواقعي *(contradicto in adiecto)*.

إن الإقليمية في "قانون الأمم" ليست في الحقيقة مجرد ظاهرة تمَّ التعرف عليها في أمريكا اللاتينية وفي العالم الشيوعي حيث بلغت أفكار "طبقة العمال" (البروليتاريا) ذروتها مع ما يسمى عقيدة بريجينيف. ولم يستطع العالم الإسلامي المشاركة في تطوير القانون الدولي مع الأمم النصرانية حتى نهاية الحرب *Crimean*.

وفي الحقيقة، فحتى هذا اليوم لن يكون غير هذا، من منطلق المبدأ، وذلك لأن الشريعة الإسلامية لا تُقِرُّ كلاً من القانون "الطبيعي"، وإمكانية إقامة معاهدات سلام بين الدول الإسلامية وغير الإسلامية. ومع ذلك، فبدلاً من تغذية الفكرة العاطفية للأسرة الدولية، فإن القانون الإسلامي يؤكد على الفارق بين "دار الإسلام" (الأمة الإسلامية)، و"دار الحرب" (غير المسلمين الذين يحاربون الإسلام). كما يعدل هذا في الأهمية أيضاً أن النظرية القانونية الإسلامية أن المسلمين يشكّلون أمةً واحدةً هي الأمة الإسلامية، ولذلك فهي ترفض فكرة تعدد "الدول".

وبالتالي، فإن القانون الإسلامي، حتى يوم الناس هذا، يرفض أن يعامل العلاقات الموجودة بين الشعوب الإسلامية على أنها علاقات بين الدول.

وكما يرى هانز كروز *(Hans Cruse)* في كتابه: *(Islamische Volkerrechtslerhere, 2nd ed., Bochum, 1979)* فإن أقل ما يقال عن الفقه الإسلامي: إنه استطاع التعايش مع الحقائق المرة للصراع الدولي.

وأخيراً، فإن العلماء المسلمين، كنظرائهم من الغربيين، علموا أن العقود والمعاهدات يجب أن تُحْتَرَم ويوفى بها بغضِّ النظر عن ديانة الطرف الآخر. وليس هناك أي فارقٍ عملي في أن المحامين المسلمين يبنون أحكامهم على *(pacta sunt servanda)* وحي القرآن الكريم بدلاً مما تواضع عليه عامة الناس من قانون دولي. والذي يجب أن ينظر إليه في الواقع هو أن المسلمين، بغضِّ النظر عن القوانين المحلية، يتقيدون ويلتزمون بالمعاهدات الدولية (التي يحترمها ويلتزم بها غير المسلمين بغضٍّ النظر عن القانون الدولي).

لقد وضع الفقهاء المسلمون بذكاء وبراعة أدباً إسلامياً يمكّنهم من التسوية بين قسوة الحقيقة والواقع والنظرية القانونية المعقدة. وبهذا، وهكذا فقد عللوا التطور (غير المقبول) لعلاقات سلامٍ مستمرة بين الدول الإسلامية وغير الإسلامية على أساس هدنة ضمنية مطولة (مسموحة).

فضيحة من الطراز العالي

اسطنبول. ١ آب/أغسطس١٩٨١

كان اليوم هو يوم عيد الفطر، وهو العيد الإسلامي الذي يحتفل فيه المسلمون في نهاية شهر رمضان. وقد أراني هذا اليوم ثلاثة وجوهٍ للإسلام. لقد شاركت في الصباح الباكر بأداء صلاة العيد، وهي صلاة طويلة تفصل شهر الصوم عن الاحتفال بالعيد لمدة ثلاثة أيام لعيد الحلويات. كان مسجد "تسويقي" غاصاً بالمصلين. وقد أتى كثيرٌ من المصلين بسجاداتهم الخاصة للصلاة عليها، ولكنني صليت على قطعة نظيفة من ورق الجريدة اليومية الصباحية لهذا اليوم، كحال كثيرٍ من المصلين أمثالي الذين صلُّوا في الجزء الأمامي من المسجد.

وقد زرنا في صلاة الظهر مسجد السلطان أيوب في الشواطئ العليا للقرن الذهبي. ولقد كان هذا المبنى منذ تشييده على قبر السلطان أيوب الذي يحمل اسمه، قد تمَّ اختياره بشكلٍ رائع أثناء الحصار التركي عام ١٤٥٣، وأصبح محاطاً بأعلامٍ وتقاليد حتى أصبح موقعاً رائعاً يصلح أن يكون مكاناً لأخذ الصور التذكارية الرائعة.

ولعل ما أشاهده هنا أقرب ما يكون في الإسلام إلى المواقع التي يقدسها النصارى. وما الذي يمكنني أن أقوله عن عادة تعودها الزوار للشرب من أربعة نوافير مياه موجودة في الزوايا الأربعة للسور الذي يحيط بشجرة في منطقة قريبة من المسجد، حيث يبدأ الشاربُ بفتح صنابير مياه النوافير الأربعة أولاً، ثم يغلقها واحدةً تلو الأخرى؟ كما أن العشاق، والآباء، والطلاب، والجنود، الذين يتمنى كلٌّ منهم تحقيق أمنية عزيزة وغالية، يحاول إطعام ألف يمامةٍ ويمامةٍ، حيث يقدِّم لها كيلوغراماً من

الذرة الهندية، إلا أنه يحتفظُ بعدد من حبوب الذرة هذه ينثرها في الهواء بعد أن تتحقق أمنيته. كما يصطحب بعض الزوار من السوق القريبة حيوانات يذبحونها لله تعالى ويأخذونها إلى مطبخ قريب حيث يطعمونها الفقراء والمساكين المعوزين (وهذا المطبخ ملحقٌ بمسجد السلطان أيوب).

وبالطبع، لن يكون هذا الحشد الكبير من زوار مسجد السلطان أيوب مكتملاً دون وجود عدد من الصبيان الذين يرتدون الزيَّ والبذلات العسكرية برتب الألوية والأدميرالات والأمراء. وسيتم ختانُ هؤلاء الصبيانِ في اليوم التالي. (ويُكَرَّم الصبيان بهذه الطريقة كما تُكَرَّم أخواتُهُنَّ البنات يوم زفافهن).

ولا شكَّ أن أهل السنة والجماعة يخالفون مثل تلك الاحتفالات الشعبية ويضعون حداً فورياً عنيفاً إذا استطاعوا لأمثالها لما فيها من مخالفات شرعية لتعاليم الإسلام الحنيف. وهم لا يقبلون أيضاً الاهتياج في الترويج للتجارة وعرض البضائع واستغلال الناس في الأسواق القريبة من المسجد النبوي، وذلك حفاظاً على الذوق والأدب الرفيع الذي يتماشى مع اللون المحلي غير المرغوب فيه من الاحتفالات والأفراح الشهيرة.

وقد حضرنا في المساء عرضاً للأزياء. وقد كان أحد الأثواب الجذابة جداً والمصنوع من قماش الحرير الأسود أمراً مخزياً في الحقيقة وذلك بسبب تصميمه الفضي الذي يحتوي على آيات من القرآن الكريم مكتوبة بالعربية بشكل غريب جداً. ولقد جذب جمال الخط الذي كُتِبت به تلك الآيات كثيراً من الناس الذين صفقوا ببراءة، إلا أنهم سيهولُهُم الأمرُ إلى حدٍّ كبير لو فهموا ماذا تعنيه تلك الكتابة. إلا أنه [وللأسف الشديد] بعد جيلٍ واحدٍ من زمن أتاتورك أصبحت الكتابة العربية أجنبيةً تماماً مثل اللغة الصينية بالنسبة للشعب الذي تعوَّدَ أن يقرأ العربية. فهل هذا يا ترى ما يعنيه "التقدُّم"؟

ابنُ خلدون، وليس "ماركس"

بون. ٢٨ نيسان/أبريل ١٩٨٢

إن أولئك الذين لا يزالون يعتقدون أن الإسلام يعيق التقدم، خيرٌ لهم أن يقرؤوا كتاب "المقدمة" لابن خلدون، وهو مقدمته لسَفْرٍ رائعٍ من كتب تاريخ العالم "كتاب العِبَر"، الذي كتبه عام ١٣٧٧ (وترجمه إلى الإنجليزية فرانز روزنثال، برنستون ١٩٦٧). وإذا لم يكن لابن خلدون، قاضي القضاة في القاهرة سوى هذه المقدمة التي تقع في ١٤٠٠ صفحة لكفاه فخراً أن يدخل التاريخ، تاريخ الفكر العالمي، من أوسع أبوابه. وقد أصبح ابن خلدون قبل خمسمئة سنة من "كارل ماركس" و"ماكس ويبر" المؤسس الحقيقي لكلٍّ من علمي الاجتماع وفلسفة التاريخ، حيث اقتضى أن يكون التاريخ أكثر من مجرد "معلومات".

لقد كان ابن خلدون صاحب أول محاولة لاكتشاف أن القوانين التي تحكم دورات التاريخ، وأن قيام الحضارات وسقوطها، وأن كتابة التاريخ يجب أن تتم بعد تقديم مصادر تراثية إلى تفحُّصٍ محايدٍ، ناقد، شكوك. وقد قاد هذا الأسلوب ابن خلدون إلى دراسة التفاعل بين المناخ والسلوك، وبين التخصص المدني والسمات الحضارية.

ولقد كان ابن خلدون، وليس كارل ماركس من أعلن أن: "الربح هو القيمة الناتجة عن العمل البشري"، وأن: "تفاوت أحوال الناس هو نتيجة اختلاف طرق كسب معيشتهم". ولقد أوضح ابن خلدون قبل "توماس مان" بوقت طويل أن: "الاعتبار يستمر، في أفضل الأحوال، أربعة أجيال في نسبٍ واحدة". وقد أعلن ابن خلدون قبل قرون من فريدريك نيتشه أنه: "إذا كانت الأمة متوحشة يمتد سلطانها الملكي فترة أطول". كما لاحظ ابن خلدون

قبل فريدريك هيجل أن: "السلالات الحاكمة لها دورة حياة طبيعية مثل الأفراد تماماً". كما قرَّر ابن خلدون أيضاً قبل جان جاك روسو أن العلاقة بين الحاكم والمحكوم مبنية على عقد (اجتماعي) ينتهي (بالمصافحة ويمين على الولاء). كما أن ابن خلدون بيَّن قبل ظهور نظرية الشرعية المعاصرة (ضدَّ معتقد فرقة الشيعة) أن: "يحكم شؤون الأمة (كخليفة) أعلاها نسباً". وكأن ابن خلدون توقَّع ظهور شخص مثل ديفيد هيوم، حيث أكد أنه: "لا يمكننا معرفة كيفية طريقة تأثير الأسباب على الأشياء". وقد علَّم ابن خلدون قبل عدة قرون من ظهور كارل فون كلاوتسويتس أن: "ليس هناك تأكُّدٌ كامل من النصر" وذلك لأن "النصر في الحروب يأتي من الحظ والفرصة". كما تتبع ابن خلدون قبل فريدريك شيلر وعمانويل كانط الأحكام الجمالية على العناصر البصرية حيث أرجعها إلى تصنيفات فلسفية، دون أن يهمل دور الآليات النفسية. (فقد أدرك أن الإنسان مثلاً لا يسعه إلا أن يدرك أن الصيغة البشرية لا بد أن تكون متناغمة).

وإنني متأثرٌ بالمنهج العقلي لابن خلدون لدراسة كل من علم الوجود والصوفية. وكطالب للشريعة، رفض ابن خلدون إمكانية استنباط الإضاءات الميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) من الذكاء والإدراك الحسي. "العقل هو حقاً المقياس الصحيح... ومع ذلك، فيجب ألا يستخدم العقل فقط لمعرفة "وحدانية الله"، و"الدار الآخرة"، و"حقيقة النبوة"، و"الصفة الحقيقية للذات الإلهية... ويمكن للمرء أن يقارن هذا مع حالة إنسان يرى الميزان الذي يوزن فيه الذهب، ويريد أن يزن به الجبال." فهل بإمكان أحد آخر أن يعطي تعبيراً أفضل من هذا التعبير؟

ويشكُّ ابن خلدون لدى الحديث عن الصوفية أنهم يريدون أن يجربوا بشكل اصطناعي، قبل الموت، ماذا سيدركونه حقيقة بعد الموت. وكان حكمه صارماً وجاء على النحو التالي: "إن كل المعرفة الخارقة للطبيعة،

أو العمل الفوطبيعي الذي يقوم به الصوفيون هو عرضيٌّ بحت". كما اكتشف ابن خلدون أن بين الخبراء الماهرين في الصوفية هناك: "مجانين وبلهاء هم أشبه ما يكونون بالمجانين من العقلاء." واعتقد ابن خلدون أن: "كل ما نراه من الظواهر والخوارق والكرامات لا أساس لها تعتمد عليه، وأنها غير قابلة للتطبيق العملي."

إلا أننا يجب ألا ننسى أن ابن خلدون لم يكن عبقرياً شاذاً، ولم يكن أيضاً منحرفاً أو زائغاً عن طريق الحق. لقد كان ابن خلدون ناتجاً حقيقياً للثقافة الإسلامية في أبهى وأجلى صورها.

obeikandl.com

السُّنَّةُ والشيعة

بون ـ ١٩ أيار/مايو ١٩٨٢

تلقيت من السفارة الإيرانية ترجمة بالألمانية للدستور الجديد للجمهورية الإسلامية. وكما هي الحال في كافة المراسلات الرسمية فبدلاً من أن تستخدم السفارة الصيغة التقليدية للردود المهذبة فقد "استغلت السفارة هذه الفرصة" للتعبير عن تمنياتها الثورية بأن ينتصر المظلومون على الظالمين. إن هذا الدستور الإيراني يعتبر نفسه أساس استمرار الثورة الإسلامية في الوطن وفي الخارج، وأنه تكليفٌ لتشكيل مجتمع عالمي ديني واحد.

ولم يسمع العالم بأسره مثل هذه الأشياء منذ إصدار البيان الشيوعي أول مرة عام ١٨٤٨. فالمادة ١٥٤ تُجْبِرُ الجمهورية الإيرانية على دعم الكفاح العادل للمظلومين ضد الذين يظلمونهم في كل مكان في العالم. وحسب ما ورد في المادة الخامسة، فنظراً لإخفاء المذهب الشيعي الاثني عشري، فقد أسندتْ قيادة هذا الجهد العالمي خلال الوقت الراهن إلى آية الله الخميني.

ومع أن هذه الوثيقة هي بشكل أساسي أداة قانونية، فإن هذا الدستور لا يُغْفِلُ أن يسجل فيها الرغبة أن يبعث "الله" تعالى الإمام المنتظر الغائب في أقرب فرصة ممكنة. وبنتيجة مأساة طهران للأسرى الأمريكيين عام ١٩٧٩ (عندما احتجز موظفو سفارة الولايات المتحدة الأمريكية كأسرى بمعرفة وموافقة ضمنية رسمية للحكومة الإيرانية)، وبنتيجة الخصوصيات الغريبة للحرب الطويلة التي نشبت بين العراق وإيران، وبسبب الهجمات الانتحارية للفدائيين الشيعة في لبنان، فقد أصبح العالم بأسره، بما في ذلك الشعوب الإسلامية، يرقب السحر المتزايد لظاهرة الدولة الفارسية المعاصرة: نهضة الدولة الشيعية الأصولية المتعصبة،

وهي أول حادثة أصيلة من نوعها منذ أن حكم الفاطميون مصر قبل ألف سنة من هذا التاريخ.

ويدرك كثير من المسلمين الدور الهام الذي قام به الفرس في الإسلام منذ نشأته. فقد كان سلمان الفارسي ﷺ، المستشار المالي لرسول الله ﷺ [واحد من أبرز صحابة رسول الله]، وكذلك فقد برز كثير من المؤرخين والعلماء والمفكرين والفلاسفة كالفارابي، وابن سينا، والغزالي، والزمخشري. كما أدرك المسلمون أيضاً خصوبة إنتاجهم من حيث الخيال الديني الذي كان الطابع الخاص للفرس وبلاد فارس خلال التاريخ. بل، لم تُعْرَفْ دولةٌ أخرى في التاريخ باحتضانها وإيوائها لمختلف الأديان والمعتقدات: عبَّادُ الشمس، وعبَّادُ النار، والغنوطسية، والأفلاطونية، والزرادشتية، والمانية، والمزدكية، والفارسية، والدروز، والنسطوريون، وأهل الحق، واليزيديون (الذين اشتهروا باسم شنيع وهو: عبَّادُ الشيطان)، والأليفيون *Alevis* والبابيون (البهائيون)، والشيعة السبعية والاثني عشرية، وهذا فقط غيضٌ من فيضٍ.

ومع ذلك، فبغضِّ النظر عن النقد الشديد الذي قد يوجهه المسلم السني (وهم الغالبية من المسلمين) للآراء الدينية والممارسات العملية للشيعة، فقلَّما نجد من يكفِّرهم. إن من يمكنه أن يعلنَ هذا هو مصدرٌ واحد فقط "الله"، وهو أعلى وأعلم. وقد أخبرنا رسولنا محمد ﷺ: "من كفَّرَ مسلماً فقد كفر" (صحيح مسلم: الكتاب الأول).

إن تعارض وجهات النظر بين غالبية أهل السنة من المسلمين، وبين الشيعة ترجع أصولها إلى الحالة السياسية التي تطورت بعد فترة قصيرة من وفاة رسول الله ﷺ. فالشيعة يخالفون بشدة أهل السنة إذ إنهم يرفضون السماح لعامة المؤمنين بالتعامل مع النصوص الدينية بالمستوى ذاته والفهم التام والإدراك الكامل لكافة النصوص القرآنية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى استنتاجهم بأن وظيفة الخليفة امتياز يتمتع به آل بيت النبي محمد ﷺ.

إن مضامين هذا الأسلوب الاصطفائي للنُّبْل الإسلامي إذا لم تكن كهنوتية فهي ذات أثر واسع. فعلى سبيل المثال، يرفض الشيعة قبول الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول معتبرينهم "غير مستحقين" لأهلية الخلافة (وهم الذين سبقوا علياً ﷺ، ابن عم النبي ﷺ وصهره زوج ابنته فاطمة)، كما يرفضون كل القرارات والأحكام والآثار الواردة عنهم. بل إن الأسوأ من هذا أن المذهب الشيعي يقلِّلُ من مثالية مبدأ المساواة في الإسلام، وكذلك من شأن عالمية الإسلام وانتشاره في أصقاع المعمورة. بينما نلاحظ أن الهدوء والاتزان والاعتدال وضبط النفس ("الصبرُ في حالة الغضب والعدوان") هي السمات المميزة للمثالية "السنيَّة" لأهل السُّنة، وهي تخالف تماماً وبشدة الاعتراضات والرفض الثوري للمذهب الشيعي الغاضب العنيد البنيوي، الذي يجد أقصى تعبيرٍ له في الجَلْد [التعذيب بالضرب المبرح للجسد حتى الإدماء] على الملأ. ومن الصعب جداً أن يفهم الإنسان ويتصور كيف يتطابق الإسلام مع هذه المبالغة، علماً بأن القرآن الكريم قد وصفه في سورة البقرة، الآية ١٤٣:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾

حثَّ الإسلام المسلمين أن يكونوا واقعيين. فإذا كانوا كذلك فإنهم لن يستطيعوا أن ينكروا حقيقة أن ما يجري حالياً في الجمهورية الإسلامية في إيران من وجهة النظر الغربية يحدُّ انتشار الإسلام وقبوله في الغرب، وأقول هذا على الأقل طالما أن "أهل السنة" و"الشيعة" يُنْظَر إليهم خطأً على أنهم متساوون.

إن رغبة إيران الجامحة لخدمة هذا الدِّين توفِّرُ لنا مثالاً عن كيفية استخدام مصطلحات ماكس ويبر: "الأخلاق التي تركِّزُ على التحريض" يمكن أن تكون مخرِّبةً وغير منتجة في عالمٍ يفضِّل الأخلاق التي تركِّزُ على نتائج الأعمال.

المؤتمر الأول لنيقية *Nicaea*

إزنك. ٢١ تموز/يوليو ١٩٨٢

إن كل من يزور "إزنك" سواء أكان نصرانياً أم مسلماً، ممَّن يُكِنُّ المشاعر الخاصة بالإيمان بالقدر المحتوم للقرارات التاريخية، لا بدَّ أن يقف مشدوهاً عندما يزور إزنك، وهي المدينة التي كانت تُعْرَف باسم نيقية *Nicaea*، وهي ليست بعيدة عن اسطنبول. وبعد فترة قصيرة من احتلال الصليبيين بشكل كامل للقسطنطينية عام ١٢٠٤، فقد لعبت هذه المدينة النائمة التي يكثر فيها الغبار دور "عاصمة المنفى" للإمبراطورية البيزنطية. إلا أن الأهم من ذلك أن هذه المدينة شهدت خَتْمَ القَدَرَ الديني للبشرية عام ٣٢٥. وبإمكان المرء حتى الآن أن يحدد المكان الذي اجتمع فيه غالبية الأساقفة الذين حضروا المؤتمر الأول لنيقية (١٩ حزيران/يونيو ـ ٢٥ آب/أغسطس عام ٣٢٥) وتبنوا بشكلٍ صارمٍ العقيدة النيقاوية الأصلية التي نصت على أن "الله" "الآب"، و"عيسى" المسيح عليه السلام "الابن" متحدان في طبيعة واحدة [أستغفر الله العظيم، وحاشا لله أن يكون ذلك].

وأما العقيدة المناقضة لذلك، وهي التي تمسك بها ودعا إليها آريوس، راهب الإسكندرية (٢٦٠ ـ ٣٣٦) فقد بقيت هي الموقف الرسمي تحت حكم الإمبراطور قسطنطين الأكبر (٣٣٧ ـ ٣٦١). وفي الواقع، فحتى بعد الإدانة الثانية للآريوسية [المسيح غير مساوٍ للآب (الله) في الجوهر] عام ٣٨١، فقد كان الاعتقاد السائد أن عيسى عليه السلام وهو مخلوقٌ إلهي، لم يكن مساوياً للآب (الله) أو خالداً، استمرَّ قوياً بين الناس، وبخاصة بين القبائل الجرمانية [الألمانية]. إلا أن هذه المأساة مُسِحَتْ من الوعي النصراني الغربي، وكذلك أيضاً التعاليم النسطورية التي نادى بها بطريرك

القسطنطينية (٣٨١ ـ ٤٥١) التي ادعت أن "اللّه" [حاشا للّه تعالى]، و"عيسى" عليه السلام وجدا معاً وبشكل مستقل في شخص واحد، هي أمر مخالف للقانون حسب ما ورد في مؤتمر إفسوس *Ephsus* عام ٤٣١.

ولا يمكن أن نعدو الحقيقة إذا قلنا إنه خلال الخمسمئة سنة الأولى من بداية النصرانية، كان من الممكن أن يكون المرء نصرانياً مؤمناً دونما حاجة أن يقبل موضوع أن يكون المسيح عليه السلام متحداً مع الآب [أستغفر اللّه]. ومن وجهة النظر الإسلامية فإن النصارى الآريوسيين والنسطوريين، كانوا، وسيبقون مسلمين.

وفي الحقيقة، فإنه لو لم يعارض قليل من الأساقفة النصارى عام ٣٢٥ (حوالي ١٢٥ شخصاً تقريباً) ويقاوموا موضوع المتطرفين لماهية كل من عيسى المسيح عليه السلام، واللّه تعالى، فإنه لم يكن هناك فارق ديني أساسي بين كل من: اليهود، والنصارى، والمسلمين. ولا يتمالك المرء نفسه من الارتعاد عندما يتأمل ويتفكر بمسؤولية قَدَرِ البشرية الذي تحمَّل مسؤوليته هؤلاء الأساقفة (باستخفاف؟) في نيقية.

ompelkandl.com

الكنيسة ليست مسجداً

بورصة. ٢٢ تموز/يوليو ١٩٨٢

بورصة هي العاصمة العثمانية القديمة توفِّرُ كلاً من التزلُّج (على جبل أولو داغ)، والسباحة (في بحر مرمرة) في وقتٍ معاً. إلا أن أحد عجائبها هو المسجد الجامع (أولو جامع) الذي يوجد في وسط المدينة. إن الجدران الداخلية لهذا المسجد ما هي في الحقيقة سوى معرض للخط العربي، وهو فنٌّ ارتقى فيه الأتراك إلى أروع الأساليب الدقيقة الجذابة الشكل.

ويدهشك في المسجد أيضاً نافورة الماء الهامسة حيث يجتمع الناس حولها. وهنا يرتاح السيَّاح المتعبون بعد أن يؤدوا ركعتي تحية المسجد، ويقوم الطلاب بهزِّ جذوعهم بلطف إلى الأمام والخلف وهم يقرؤون القرآن الكريم، بينما يذهب بعض الزوار الآخرين للوضوء من ماء المسجد.

ويجد المرء قريباً من المحراب دائماً بعض المسلمين المستغرقين في التفكُّر والتأمل والعبادة والتسبيح والتهليل للحي القيوم الذي لا تراه العيون. بينما يلاحظ المرء بعض الأشخاص الآخرين الذين يأخذون قسطاً من الراحة فيضطجعون لفترة قصيرة من الراحة قبل صلاة العصر.

وأما الزوار الغربيون الذين تعودوا على الكنائس التي تستخدم للعبادة الدينية فحسب (وتُغْلَق أبوابها بعد ذلك) فقد يتعجبون مما يرون. فلا بد لهم أن يتعلموا أن المسجد لا يحتوي على "مذبحٍ" ولا على "وعاء

خبز القربان" (وكلاهما مُحاطٌ بهالةٍ من التحريم والحظر)، وهو مكانٌ يجب أن تتوفر فيه فقط النظافة بحيث يجتمع فيه الناس ويتعبدون الحي القيوم. فإذا أدرك هؤلاء هذا الأمر فإنهم سوف يدركون بشكل ملحوظ الوظيفة المتكاملة للمسجد على أنها مراكز اجتماعية ـ سياسية، وغالباً ما تحيط بها "المطابخ" و"المكتبات"، و"الحمامات"، و"المدارس" أو "المقابر".

obeikandl.com

أمرٌ يصعبُ تصديقه!

بون. ١٩ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢

استقبلني الوزير المفوض في سفارة المملكة العربية السعودية أثناء إعداد معاملة تأشيرة الحجاج. إلا أنه، على خلاف ما كان يسأله الدبلوماسيون الأجانب اليوم، لم يسألني عن قرار حلف الشمال الأطلسي (ناتو) عن وضع صواريخ نووية متوسطة المدى في أوروبا. بل إن تركيزه الخاص انصب على مشكلة تختلف تماماً عن هذا: ترى ما هو دور كل من عيسى عليه السلام، ومحمد ﷺ وماذا ستكون العلاقة المتبادلة بينهما قبل يوم القيامة بقليل، وبعده؟ وكان مضيفي يعرف كل ما يمكن أن يعرفه المرء عن هذا الموضوع من حديث المصطفى ﷺ عن هذا الموضوع التأملي بشكل عام.

والذي يسحرني ويثير إعجابي في هذه الآونة بالذات، ما أراه من الحقيقة المدهشة، فها نحن هنا في القرن العشرين، لا تزال بلدٌ يهتم دبلوماسيوها بإعطاء القضايا الدينية أهمية فوق أهمية القضايا السياسية.

هذا بالفعل أمرٌ يصعب تصديقه؟

مجتمع الكحول. النيكوتين. الخنزير

رحلة لوفتهانزا ٦٢٤. ١٨ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٢

لدى اقترابنا من جدة على رحلة الخطوط الألمانية لوفتهانزا ٦٢٤ قادمين من فرانكفورت لاحظت أن معظم الركاب الألمان، وخاصة النساء والأطفال كانوا يحملون أشجار عيد الميلاد ضمن ما يحملونه معهم في الطائرة، وقد طلبوا بشكل مسعور طلبات كثيرة من المسكرات والمشروبات الكحولية المتنوعة، وما أسرع ما شربوها قبل أن تحطَّ الطائرة على أرض المطار في جدة. إنهم يدركون أنه بدءاً من هبوط الطائرة على أرض مطار جدة ستبدأ الفترة المزعجة لمنع تعاطي المشروبات الكحولية في المجمعات السكنية التي يقيم فيها أزواجهم وآباؤهم في المشاريع الإنشائية الكبيرة.

ما هذه التظاهرة الصاخبة الواضحة عن الحقيقة المحزنة التي نعيشها في الغرب في بيئة تدميرية للذات البشرية المحمَّلة بالكحول، أو يمكن التعبير بشكل أفضل عنها بأنها بيئةٌ محمَّلةٌ بالكحول - والنيكوتين - والخنزير. لقد كانت تجربةٌ تمنيت فيها لو أني حجزت في هذه الرحلة مع خطوط جوية تمنع كل المشروبات.

ترى كم من المعاناة مثل: حوادث المرور القاتلة، والطلاق، وتليف الكبد، يمكن أن يتم تجنبها لو أن الناس التزموا بتعاليم القرآن الكريم فيما يتعلق بحظر الكحول! (وإنني أنا شخصياً، وعلى كل حال، لم أكن لأفقد أسناني في الحادث المروري الشنيع الذي تعرضتُ له في أمريكا عام ١٩٥١ لولا شرب الكحول).

لقد مرَّ عليَّ وقتٌ أتاحت لي خبرتي كخبير في تذوق أنواع الخمور والحكم عليها باستخدام البراعم الذوقية فقط، بحيث أعرف دون أي خطأ، مختلف أنواع الخمور والمشروبات الكحولية المختلفة، بل حتى عندما اعتنقت الإسلام، كنت أجد صعوبة كبيرة أن أتصور كيف يمكنني أن أنام دون أن أحتسي قارورة من النبيذ الأحمر مع العشاء. إلا أنني الآن، أستطيع أن أنام أفضل من أي وقت مضى في حياتي لأنني عندما أستلقي أشعر أن كبدي وجهاز الدوران في جسمي يمكنهما أن يرتاحا أيضاً.

لا يستطيع الغربيون أن يصدقوا أن أية حفلة يمكن أن تكون مسلية وممتعة ما لم يكن فيها خمور ومشروبات كحولية. ولكن، عليهم أن يشاهدوا حفلات الزواج الإسلامية النموذجية!

إن غالبية السياسيين الغربيين يدركون النتائج الخطيرة لمشكلة تعاطي المشروبات الكحولية في الغرب فهناك كثير من المشاكل أهمها: تدني الحالة الصحية لدى عامة الناس، تقليل إنتاجية العمال، مخاطر أمنية في العمل وعلى الطرقات، وإضاعة المصادر الاقتصادية. إلا أنهم يخفقون في إعداد العزيمة الضرورية اللازمة لمحاربة هذا النوع من "أفيون الشعوب". وكأنها كانت المصلحة الذاتية، ودون مخاطر، بل ودون أية مظاهر عامة، عندما حرَّم النبي ﷺ في المدينة كلَّ المسكرات ابناء على نزول آيات تحريم الخمر! ومع ذلك، فقد أراق أهل المدينة كل ما يملكونه من الخمور على الطرقات مبرهنين أن "غير المألوف" يمكن أن يصبح "مألوفاً" إذا وجدت الشخصية القيادية المثالية.